الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

# المسيحية في العراق

فؤاد يوسف قزانجي
استاذ في التاريخ والمعلومات

(المسيحية في العراق) احدث كتاب باللغة الانكليزية عن مسيحية الشرق الأوسط في القرون الميلادية الأولى من تأليف طبيبة عراقية آثرت دراسة الثقافة السريانية وتاريخها في جامعة لندن، وكتابها الذي بين أيدينا رسالة ماجستير من جامعة لندن بعنوان: (Christianity in Iraq by Suha Rassam. London: Gracewing, 2005) ويتميز الكتاب بأسلوبه البسيط المقتدر على الوصول الى التعبير عن أفكار المؤلفة الطبيبة (الدكتورة) سها رسام، وهي سيدة عراقية تعيش مع عائلتها في بريطانيا حالياً. وتعتبر لغتها السلسة باباً للدخول الى مباحثها التاريخية التي لا ينقصها الجرأة ويعززها أسلوبها الملتزم بالبحث العلمي، ويبدو ان الكتاب حصيلة مصادر ومعلومات معظمها باللغة الانكليزية استقتها الباحثة من المؤلفات الأوربية التي تنظر الى المشرق العربي من زاوية التأثيرات البيزنطية والرومانية والحضارة الغربية اكثر منها البحث نحو مواقف الخصوصية المسيحية في العراق او سوريا إبان القرون الميلادية الأولى والتي تتسم بمعرفة عميقة بالإيمان الديني والقيم الروحية النابعة من حضارات متصلة الجذور لسكان العراق القدماء او لسكان سورية وفلسطين. ان كثيراً من المؤلفين الذين هم ليسوا من المشرق العربي لا يعرفون التيارات الفكرية والاجتماعية التي كانت تسري تحت السطح، كما لا يعرفون مدى معاناة اهل العراق مثلاً تحت الحكم الفرثي او الساساني على الرغم من استمرار الكفاح لنشر الدعوة المسيحية. كما يجهلون مدى معاناة المسيحين من أهالي سورية من تقلبات القياصرة وبعض رجال الدين الذين كانوا في الغالب يتبعون أراء وأفكار ونوازع الإمبراطور وحاشيته الذين كانوا غرباء عن المجتمع المشرقي وكانت مصالحهم احيانا تتضارب مع القيم والكفاح في سبيل المسيحية التي كان البيزنطيون او الساسانيون يهددونها في كل حين. ولعل جذور الخلاف في القرن الخامس الميلادي بين كنيسة العراق وكنيسة سورية قد بدأت بشكل مبكر لأن كنيسة إنطاكيا لم تفعل كل ما يجب لإنقاذ رؤوس عشرات الآلاف من الشهداء العراقيين من اضطهاد ساساني استمر حوالي (٤٠ عاماً) ٣٣٠-٣٧٩ م. ولقد كانت الكنيسة الغربية نفسها غير موحدة فكان هناك طائفتان تتصارعان هما المونوفوسية والملكية الخلقيدونية بحيث أشار رجال الدين المسيحيين في إثناء الفتح الاسلامي للبلاد، أنهم تخلصوا من الضغوط والمصاعب التي كان يسببها لهم الحكم البيزنطي. كما اعتمدت المؤلفة على وجهة النظر الأوروبية المتعلقة بان اليهود كانوا سباقين الى ملئ الجوانب الشرقية من التاريخ، وهذا ما لا نتفق فيه مع الكاتبة، وكذلك ابرز الباحثين المسيحيين في البلاد العربية أمثال العلامة البير أبونا والمرحوم الدكتور نقولا زيادة والمرحوم الدكتور يوسف حبي وغيرهما، على أساس ان الوسط اليهودي كان الوسط الذي انتشرت فيه المسيحية، ربما حدث ذلك في البداية في إنطاكيا او أفسوس، لكن في العراق كان الأمر مختلفاً فقد بدأت، وحسب تقاليد توما الرسول او مار ادي او مار ماري في سلوقية - قطيسفون التي كانت في الحقيقة صعبة المنال على الدعاة الأوائل. كما ذكر ذلك في التقليد الذي ينسب الى مار ماري على الرغم من وجود يهود في طيسفون، مما اضطره ان ينحدر الى كشكر التي كان معظم سكانها من أصول أرامية او بابلية - كلدانية حيث انتشرت فيهم المسيحية ولا يعرف ان فيها يهود. إما دورقني فهي مدينة مسيحية في بدايتها وفي نهايتها، وتبقى اربيلا في حدياب ربما آمن بعض اليهود الذين كانوا في مدينة (حزا) القريبة بالمسيحية ولكن ذلك ليس شيئاً مؤكدا فكل الأسماء الأولى في حدياب كانت فارسية، ولذلك أرى ان تعيد الباحثة النظر في بحثها في الطبعة الثانية ذلك انه لدينا أمثلة مغايرة لما ذكرته الباحثة في مشاركة اليهود في الإيقاع بالمسيحيين قبل وفي إثناء وبعد الاضطهاد الأربعيني الذي جرى في العراق وفي ميشان (الاحواز) وهكذا يمكن القول ان الجوانب الشرقية من التاريخ المسيحي في المشرق العربي كانت حاضنته المجتمعات الآرامية والكلدية الباقية والتي كانت تتحدث الآرامية اللغة التي انحدرت منها السريانية. كنت أود من الباحثة ان تعطي أهمية للثقافة السريانية في العراق ومن مظاهرها على سبيل المثال وجود (٥٠) مدرسة مبثوثة في ابرز الأديرة في العراق كما ذكر لنا ايشو عدناح (٦٨٠ م ) اضافة الى وجود ثلاث مدارس عليا هي نصيبين وجنديشابور واسكول مار ماري في دير قنى التي أصبحت موئلاً للفلسفة السريانية ومن ثم للفلسفة السريانية - العربية بعد الاسلام ومن الفلاسفة الكبار الذي تعلموا فيها أبو زكريا، يحيى بن عدي (التكريتي) وأبو نصر، محمد الفارابي، إما في سورية فكان عدد المدارس لا تتجاوز الخمس مدارس أبرزهما مدرسة إنطاكيا ومدرسة حران ومدرسة الحقوق في بيروت ؛ ولا ننسى ميزة اخرى لدى العراقيين أنهم لم يتأثروا في بناء أديرتهم وكنائسهم بالعمارة الرومانية كما هو الحال في سورية وغيرها، بل ان الكنائس بنيت على الطراز الشرقي - الحيري وهذه نقطة حضارية لم تلتفت إليها الباحثة. كان المسيحيون في العراق في عهد الاستقلال عام ١٩٢١ قد طالبوا بتدريس اللغة السريانية الشرقية (السورث) في المدارس الخاصة التابعة للكنيسة وذلك لان معظم المسيحيين في العراق يتحدثون بالسريانية الشرقية منذ القرن الثالث الميلادي وحتى الوقت الحاضر وعلى الرغم من المصاعب والعقبات التي جابهوها خاصة في العهد العثماني، مما أضطر الكثيرين من مسيحيي المدن التخلي عن اللغة السريانية، لكنها في بلدات ومدن شمال العراق ظلت سائدة حتى اليوم وهذه حقيقة مهمة لا يعرفها الكتاب في الغرب واذكر حينما تحدثت عن ذلك مع الباحثين الأجانب في المؤتمر السرياني الاخير (٢٠٠٦) في حلب لم يصدقوا كلامي. ولعل من الآراء المستعجلة التي أبدتها المؤلفة أنها اعتبرت وجود اليهود في العراق يعود الى النبي إبراهيم (ص ١٢) فشخصية النبي أبراهام بن تارح ومتابعتها تاريخيا تتقابل مع عدة فرضيات (انظر أطلس أكسفورد التاريخي) أولا ان ولادته تتراوح بين السنوات ١٨٥٠ ق. م او ١٦٥٠ ق. م. والمبحث التاريخي الحالي يؤكد الاصحية التاريخ الثاني بسبب إشارة أبراهام الى بيت أخيه في حران الذي كان من الآراميين وإرسال ابنه إليهم يتزوج هناك. فالنبي إبراهيم عراقي من أور وهو موحد ولا بد من ان هدايته واتصاله الروحي بالسماء لم تأت اعتباطاً ولا بأعجوبة، بل لان إبراهيم ناتج اجتماعي لحضارة متقدمة هي حضارة مدينة أور التي كانت جزءاً من حضارة خلاقة هي الحضارة السومرية هذا إذا كان قد ولد في عام ١٨٥٠ ق. م إما إذا كانت ولادته في عام ١٦٥٠ ق.م فأنه يضاف الى ثقافته ما أعطته الحضارة البابلية، وان معرفته للخالق الأوحد ولدت في مدينة متحضرة ذات جذور ثقافية وفكرية نضجت من خلال إدراكه القيم الروحية وعوامل الارتباط بالخالق الأعظم. وان رحلته الى حران كانت لنشر التوحيد في المشرق كله وهو بعد ذلك أبو الأنبياء. ليس صحيحاً ان عاصمة الساسانين هي قطيسفون - سلوقية، إنما هذا تعبير سرياني للمدينة بسبب وجود مركز المسيحية في العراق في قرية سلوقية او ساليق القريبة من قطيسفون. والصحيح أيضا ان قطيسفون وحدها لا إنطاكيا كانت اكبر مدينة كوسموبولتية في العالم القديم آنذاك (راجع مقالة كاتب المراجعة في مجلة الفكر المسيحي العدد الأخير عن قطيسفون) فقد كانت تتألف من خمس مدن في الأقل واحدة منها وهي رومية يسكنها خليط من الأثنيات المختلفة التي نقلت من إنطاكيا، إضافة الى وجود عدد من اليهود فيها. وأخيراً أرجو ان تضيف المؤلفة الفاضلة الى قائمة المجلات المسيحية في العراق مجلة الفكر المسيحي التي صدر العدد الأول منها في عام ١٩٦٤ وتعد اليوم من أقدم المجلات المستمرة على الصدور وقد نالت في هذا العام جائزة دولية لتميزها بالطرح الصريح إمام المجتمع ومناقشة مشكلاته الروحية والمدنية بعناية يعود الفضل في ذلك الى رئيس تحريرها (الأب) الدكتور يوسف توما. ويبقى كتاب المسيحية في العراق، من أفضل المؤلفات الحديثة التي تناقش نمو وتطور المسيحية في المشرق العربي نظرا لأنه يعتبر من الكتب القليلة التي اعتمدت على دراسة معمقة وشاملة عن المسيحيين في العراق.

وأخيرا هنالك بعض الهنات في دراستها مثل تاريخ مقتل ملك الحيرة الأخير النعمان الرابع حدث عام٦١٢ وان الأسكندر الأكبر مات في مدينة بابل العظيمة وليس قرب بغداد، كما نسيت مدناً مهمة في تاريخ المسيحية بالقرون الميلادية الأولى مثل كشكر أقدم المدن المسيحية وتبعتها دير قنى او دور قني ودورهما في انتشار المسيحية.

## عسكرة العلاقات الاميركية - العربية:

# هل تخلى المحافظون الجدد عن نظرية (عدوى الديمقراطية)؟

د. عماد مؤيد
اكاديمي

لم تكن الحرب التي شنتها الولايات المتحدة ضد النظام السابق في عام ٢٠٠٣ مدفوعة بعوامل استراتيجية تتمثل في البحث عن فضاء سياسي لاقامة وجود عسكري فاعل في منطقة حيوية مثل العراق فحسب، بل كانت هذه الحرب أيضا يغذيها مناخ فكري أخذ يجد له رواجا في مراكز الابحاث الاميركية ومؤسسات صنع القرار بعد وقوع احداث ١١ ايلول قوامه أن ما حدث من اختراق للبيئة الأمنية تكمن نوازعه الايديولوجية في الشرق الأوسط بما يموج به من تيارات راديكالية ومشاعر عداء تجاه الغرب بسبب من واقع الاحباط والفقر الذي تعيشه هذه المجتمعات وعجز حكوماته عن الاستجابة للتطلعات البازغة لطبقاته المختلفة أو حتى الاستماع لمطالبهم، بحيث استقر التفكير المؤسساتي الأميركي على أن تعزيز أمن الأمة لا يتمثل بتحصين حدودها فقط بل الانتقال الى مستوى معالجة الذهنية الشرق أوسطية بما تختزنه من ذكريات ورؤى سلبية تجاه السياسة الأميركية، ولعل الخطوات التي اتخذتها وزارة الخارجية الأميركية من قبيل انشاء اذاعة موجهة باسم (اذاعة سوا- Sawa) بديلاً من اذاعة (صوت أميركا) واصدار منشورات باللغة العربية مثل مجلة (Hi) التي أريد بها التعبيرعن التقليد الأميركي في احترام التنوع الثقافي انما عكست النيات الرسمية الهادفة للتقرب من شعوب هذه المجتمعات مع تقديم صورة جديدة عن المجتمع الاميركي تعتقد واشنطن انها غيبت من قبل مؤسسات الحكم العربية لأهداف تتعلق بتصدير سلوكيات العقاب المضاد.

وعلى الرغم من أن التفسير الذي قدمته الماكنة البحثية الأميركية حول أسباب ١١ أيلول تمحور حول تصورين يرى أولهما ان الأسباب تكمن في الية التعامل اللامتوازن الذي تبديه الادارة الاميركية تجاه النزاع العربي الاسرائيلي فيما جادل الثاني أن فشل الأنظمة الشرق أوسطية في بناء عقد سياسي - اجتماعي حقيقي بين السلطة والشعب وتطوير نظرية للحقوق والواجبات المتبادلة هو المسؤول عن خلق واقع الفقر والاحباط الذي وظفته هذه الانظمة فيما بعد لترسيخ الشعور لدى شعوبها أن من يفترض به أن يتحمل اللوم هي الولايات المتحدة كونها قائدة النظام الرأسمالي غير العادل لتهيئة الظروف النفسية الملائمة لتصدير سلوكيات العنف الى الخارج بدلا من انفجارها في الداخل، فعلى الرغم من افتراق هذين التصورين عن بعضهما نجد أن العقل السياسي الأميركي فضل التمسك بالتصور الثاني في أن السبب لا يكمن في ميكانيكية السياسة الخارجية بل في مؤسسات الحكم العربية خصوصا انها بدأت بتدعيم حججها من خلال الاستشهاد بتقارير التنمية البشرية التي تؤكد أن غالبية الدول العربية تحقق تنمية بشرية منخفضة على مستوى مؤشرات القراءة والكتابة والعمر المتوقع اضافة الى مؤشر الدخل الفردي السنوي، وطبقا لهذه المعتقدات أخذت المدرسة الاميركية تؤمن بأن العنف والتطرف الشرق أوسطي يستمد جذوره من واقع الحياة الاجتماعية - السياسية المتأخرة وهو ما يستدعي تغييره بهدف استبدال هذا العنف بالتسامح والاعتراف المتبادل، أما المؤسسات البحثية الأوروبية فكان تصورها على عكس حليفتها حيث جادلت أن تعرض هذه المجتمعات الى (الغربنة) (Westernization) بمعنى اضفاء طابع الحياة الغربية على الواقع الاجتماعي التقليدي وان كان بدرجات متفاوتة أدى الى ردة فعل تمثل باستشراء سلوكيات العداء تجاه كل ما هو غربي وعليه نصحت هذه المؤسسات بضرورة التعامل مع طروحات الاصلاح والتغيير السياسي في الشرق بحذر شديد.

وبغض النظر عن حجم الهوة التي تفصل الأميركيين عن نظرائهم الاوروبيين في رؤيتهم لالية الاصلاح بدت السياسة الأميركية أكثر حماسة في الترويج لطروحات التغيير من خلال تشجيع مؤسسات المجتمع المدني العربي وتوظيف وسائل الاعلام الفضائي لطرح نظريتها بخصوص نشر الحكم الصالح القائم على أساس التعددية السياسية والانتخابات الحرة بحيث أصبحت معادلة العلاقات الاميركية - العربية تأخذ في أحدى تجلياتها طابع مخاطبة واشنطن للشعوب العربية وليس حكوماتها الى الحد الذي أصبحت فيه واشنطن بمثابة الرقيب على سلوكيات هذه الأنظمة تجاه مواطنيها، ونذكر الاحتجاج الشديد اللهجة الذي أبدته الادارة الاميركية في قضية احتجاز الدكتور سعد الدين ابراهيم رئيس مركز ابن خلدون للدراسات الاجتماعية الذي تم القاء القبض عليه من السلطات المصرية عام ٢٠٠٢ لتلقيه مبلغ مليوني يورو من الاتحاد الاوروبي كمنحة لتطوير نشاطات وأعمال المركز، وكان لواشنطن بنشاطها الدبلوماسي دور أساسي في الافراج عنه وأيضا نذكر قضية الدكتور ايمن نور رئيس حزب الغد المصري المعارض الذي القي القبض عليه ايضا عام ٢٠٠٥ لمعارضته الصريحة للنظام المصري، وقد هددت وقتها وزيرة الخارجية الاميركية (كوندوليزا رايس) بالغاء زيارة متفق عليها للقاهرة ان لم تفرج عنه السلطات المصرية، ناهيك عن الدعوات السياسية المباشرة التي كانت تبديها حول ضرورة اجراء انتخابات نزيهة في الدول العربية ورعايتها للمعارضة السورية.

هذا ببساطة احد دواعي الحرب التي خاضتها الولايات المتحدة في العراق، اذ لم تكن واشنطن تكتفي بالدعوة الكلامية الى التغيير أو تقديم الدعم السياسي والمادي بل بلغت مرحلة الشروع باستبدال الأنظمة وهو ما كان قد نصح به (جيمس وسلي) المدير الأسبق للمخابرات المركزية عام ٢٠٠١ في محاضرة ألقاها في جامعة اكسفورد حول (الحرب ضد الأرهاب)، حيث دعا الى تغيير جذري للأنظمة في العراق وفلسطين ومصر وسورية اضافة الى المملكة السعودية، وان كانت افغانستان هي البوابة الأمثل لنشر الاصلاح في جمهوريات اسيا الوسطى والعالم الاسلامي في شرق اسيا فان العراق هو البوابة المثالية لنشر الديمقراطية في العالم العربي على حد رأي (زلماي خليل زادة).

لقد استوحت واشنطن نظرية (الدومينو) في تعليق أملها على انتشار الأصلاح في العالم العربي، فهذه النظرية التي وضعها (روبرت مكنمارا) وزير الدفاع الأميركي في عهد الرئيس (كينيدي) في بداية عقد الستينيات تؤمن بانتشار عدوى التغيير لدى الدول المتجاورة وطبق نظريته على اساس الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مفترضا ان نجاح الاخير في ان ينشر معتقداته الايديولوجية في دولة ما فان هذا سيوفر البيئة المعنوية والنفسية للدولة المجاورة لأن تقع تحت تأثير هذه المعتقدات، بمعنى اخر أن الظاهرة تبدو مشابهة لسقوط قطع (الدومينو) اذ أن سقوط دولة ما تحت طائلة تيار فكري معين سيؤدي الى سقوط الدول المجاورة، وكان التدخل الاميركي لحماية فيتنام الجنوبية من أن تتأثر بجارتها الشمالية مستندا الى اتجاهات هذه النظرية، وتحت تأثير هذه النظرية امن صناع القرار في البيت الابيض ان تحول العراق الى دولة ديموقراطية سيلقي حتما بتأثيراته على دول الاقليم العربي وغير العربي الا أن استسهال عملية التغيير وتبسيطها الى مستوى الانموذج القابل للانتشار بسرعة كان بمثابة الخطأ الاول والأكثر كلفة بالنسبة للارصدة السياسية للولايات المتحدة في المنطقة كونها ركزت على الغاية أكثر من الية العمل التفصيلي، فالتخطيط الاميركي لمواجهة التأثيرات والاحداث الصادرة عن دول الاقليم والتي تعترض مسار العملية السياسية لم يكن واضحاً بقدر ما كان متقلباً وكأنما سلمت الادارة الاميركية مسبقاً ان الاحداث الداخلية والخارجية والتي يمكن ان تضيق الخناق على التجربة الوليدة ليست بالاهمية التي يستدعي الامر من المخططين ان يضعوا اليات عمل لمواجهتها، وهذه الأخطاء هي التي جعلت البيت الابيض يعيد ترتيب الكثير من أوراق الملف العراقي بين فترة واخرى مثل استبدال السفراء وتبديل القيادات العسكرية الميدانية واحلال استراتيجية محل اخرى ناهيك عن الضغط الذي تمارسه على الحكومة العراقية لاعادة النظر في قضايا كانت الادارة الاميركية نفسها ترعاها مثل مراجعة قانون اجتثاث البعث وبما يوحي ان الاحداث في العراق هي التي تتحكم باتجاهات السياسة الاميركية وليس العكس.

كان للمشاكل والازمات السياسية التي رافقت المشروع الاميركي في العراق تأثير سلبي على صورة الولايات المتحدة في العالم العربي، فمشاهد القتل والدمار التي لا تنفك تعرض على شاشات التلفزة جعلت المواطن العربي لا يؤمن بصدقية الولايات المتحدة في نشر مشروع اصلاحي ديمقراطي بل ربما بات مؤكداً من أن العنف والفوضى السياسية يتزامنان مع الوجود السياسي الاميركي، أضف الى ذلك ان صناع القرار في واشنطن اخذوا تباعاً يخففون لهجتهم حول مشروع (عدوى الديمقراطية) وانتشارها في الدول المجاورة مع تفاقم المشاكل الأمنية في العراق لا سيما مع تزايد القناعة التدريجية بعدم القدرة على الامساك بادارة أكثر من مشروع في ان واحد فكل من المشروعين الافغاني والعراقي يلقي باعبائه على واشنطن وهو ما يتطلب عدم تحميل المنطقة التي تبدو من أكثر مناطق العالم تأثراً بالافكار الراديكالية أكثر من طاقتها خصوصا بوجود مصالح حيوية للولايات المتحدة، بل الأكثر من ذلك ان الوجود الاميركي في العراق جعل المنطقة تشهد ولادة خلايا نائمة بين الحين والاخر، ولم تعد (عدوى الديمقراطية) هي الاداة في الحفاظ على المصالح التي باتت تتعرض للخطر بسبب من توليدها لظاهرة (العداء للديمقراطية) وتنامي الطموحات العسكرية الايرانية، بل تقييد حركة هذه العدوى أصبح الاسلوب الامثل لحماية هذه المصالح من خلال الهندسة المرتدة للعلاقات الأميركية - العربية أي اعادة بناء العلاقات بالارتداد الى الطابع القديم المتمثل بدعم أنظمة الحكم وفرض سيطرتها لمواجهة التهديدات الواضحة والكامنة ولعل أحد أوجه الطابع القديم للعلاقات هي سياسات التسليح، لذا بدأت واشنطن في الاونة الاخيرة تعيد بناء الترسانة العسكرية وببلايين الدولارات لنظم عربية معروفة بسجلها السيء في مجال حقوق الانسان مثل مصر والسعودية، بل انه في الوقت الذي كانت تتهم فيه بعض هذه الدول بعدم لعب دور بناء في العراق الى الحد الذي عبر الرئيس (بوش) في أحدى خطبه الاسبوعية عن سخطه تجاهها بالقول (أنه لا يمكن الجمع بين صداقة الولايات المتحدة وزعزعة الأمن في العراق) نجد أن واشنطن مع تنامي حجم التهديدات لمصالحها أخذت تعيد توصيف أدوار هذه الدول بأنها أدوار ايجابية وبناءة مع العزوف عن التلويح بملفات حقوق الانسان كوسائل ضغط لدفعها نحو التغيير وهو ان دل على شيء فانما يدل على ارجاء تنفيذ مشروع التغيير الديمقراطي في الشرق الأوسط حتى اشعار اخر.

# ماذا حقق جند الإسلام في نهر البارد؟

زهير كاظم عبود
باحث قانوني

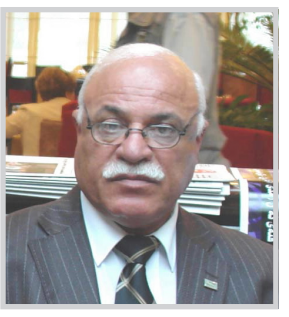

لم يمض يوم واحد من أيام المواجهة العنيفة بين قوات الجيش اللبناني وعناصر فتح الإسلام، من دون أن يتم تدمير الممتلكات الخاصة للمواطنين الفلسطينيين الذين ابتلوا بهذه العناصر، وخسروا استقرارهم المؤقت وممتلكاتهم الشخصية، فوق خسارة بلادهم واستقرارهم. وإذا كانت المواجهات بين القوات اللبنانية وبين فلول تلك الجماعة امتدت، فأنها تمتد بحكم تحصن تلك المجموعة في بيوت الناس وبناياتها الشخصية التي اتخذوها دروعا ومخابئ.

ما يلفت النظر تلك الكميات الهائلة من الأسلحة التي تم تهريبها الى مخيم نهر البارد، وتلك الكميات التي تم وضعها بين بيوت الناس ودون علمهم، وما يلفت النظر المخطط الرهيب الذي تم تخطيطه داخل أرض لبنان، وأبعاد المخطط في عقول تلك المجموعة. وإذا كان الشعب اللبناني قد خبر الخطورة الإجرامية لتلك المجموعة، من خلال الأفعال التي طالها القانون اللبناني، والخرق الفاضح للسيادة والكرامة اللبنانية، فما الذي انتفع به المواطن الفلسطيني بنتيجة تلك الأفعال؟ وماذا قدمت فتح الإسلام لهذا المواطن؟ وكيف ساهمت في تقديم الخدمات والسبل التي تعينه على الحياة، تلك الحياة التي تبقيه بمعزل عن الوطن، وعن الطرق والوسائل التي تعيده الى وطنه فلسطين ! كيف سيترك عناصر فتح الإسلام أماكن السكن المحطمة والعمارات المتهدمة والشوارع المخربة؟ فيفر منهم من يستطيع ويموت من يموت في مخابئه التي ظنها تعصمه من اللبنانيين الذي أرادوا بهم الشر، وتحت أية مسؤولية قانونية أو شرعية سيتحملها جماعة فتح الإسلام؟

ولدت حركة فتح الإسلام في أواسط عام ٢٠٠٦ . وخلال صيف العام نفسه، بدأت فتح الانتفاضة ترسل عناصر عبر الحدود اللبنانية الى مراكز صامد التابعة لها، الى ان تجاوز عددها زهاء ٢٠٠ مقاتل وزع منهم ١٢٠ في مخيم البداوي (الشمال) و٨٠ في برج البراجنة الضاحية الجنوبية (بيروت). بعد خروج العبسي من السجن في سورية عام ٢٠٠٥ انتقل الى معسكر تدريب لـ فتح - الانتفاضة التابعة في منطقة حلوة قرب راشيا ثم الى معسكر آخر في منطقة قوسايا في البقاع الأوسط ثم تولى تدريب مجموعة حملت لاحقاً اسم فتح الإسلام وتلك هي نواة التنظيم.

وفي ٩ تموز ٢٠٠٦ انتقل العبسي إلى مخيم برج البراجنة في ضاحية بيروت الجنوبية لينتقل منها في تشرين الأول إلى مخيم البداوي. ودخل إلى لبنان السوري حسام صيام والسعودي محمد سالم ضمن مجموعة ضمت ٢٠٠ عنصر توزع ١٥٠ منهم على مركز صامد في البداوي والخمسون الآخرون على مركز صامد في مخيم برج البراجنة. ويبدو إن التطرف الديني والهوس الذي يسيطر على بعض العقول فيعمي الأبصار، ما يدفع تلك الجماعات التكفيرية التي تعتبر كل شيء لاينسجم مع أفكارها مشروعا للقتل والذبح والموت، متوهمة أنها مكلفة شرعا من الله، وغير عابئة بمصالح الناس وأرواحهم وحقوقهم، ولا تدرك مقدار الآثار السلبية التي سيخلفها فعلهم وعملهم على الناس وعلى مستقبلهم في المخيم وفي لبنان وفي فلسطين أعداد كبيرة منهم دخلت الأراضي اللبنانية بشكل غير شرعي، ما جعلها تتمسك ببقائها في مخيم نهر البارد ولا تجد وسيلة قانونية تخرجها منه الى بلد آخر، فلا تجد غير أن تقاتل حتى الموت. ويبدو الترابط الوثيق بين تنظيم القاعدة الإرهابي وبين تنظيم فتح الإسلام، من خلال المخطط الإقليمي الذي يسعى تنظيم القاعدة له، ضمن دول عديدة من بينها لبنان، وكما أن الإشارة الصريحة والواضحة التي أطلقها الإرهابي أيمن الظواهري بتاريخ ٢٠٠٧/٣/١٧ حيث أصدر فتوى على أساس انه يجمع السلطتين العسكرية والدينية والسياسية، وباعتباره خليفة لأمير المؤمنين أسامة بن لادن !! يقول فيها ان تنظيم فتح الإسلام هو جزء من حزب القاعدة.وبعد سلسلة من العمليات ألإرهابية الموجهة ضد شعب لبنان وسلطته، بدأت معارك عنيفة منذ ٢٠ ايار بين الجيش اللبناني وبين المجموعة التي تقر بتقارب أيديولوجي مع تنظيم القاعدة الإرهابي والمتحصنين في مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين في شمال لبنان، والتي تجسد الإرهاب وانتهاك السيادة الوطنية والتنكر لكل موجبات الأخوة والضيافة وعدم احترام الخصوصية اللبنانية.كما إن العديد من عناصر التنظيم قتل في العراق خلال تنفيذ العمليات الإجرامية والإرهابية، بزعم أنها كانت ضد قوات الاحتلال، كما عاد الى مخيم نهر البارد عدد ممن استطاع الإفلات من ساحة العراق ليساهم في الحرب الدائرة بين قوات الجيش اللبناني وبين عناصر التنظيم الإرهابي. حقق تنظيم فتح الإسلام ما لم تحققه أية منظمة معادية للفلسطينيين، وعمل التنظيم على الإجهاز على ما تبقى من الأمل في عقل المواطن الفلسطيني، بعد الفشل الذريع والتدهور المريع الذي وصل إليه حال الفلسطيني في بلده، وبعد الفشل الكبير الذي منيت به حكومة التسلط الديني المتطرف، ومساهمتها في إرباك الوضع وخلق الفوضى وعمليات التصادم بين الفصائل والاغتيالات التي تعج بالساحة الداخلية، بالإضافة الى المواقف السياسية الخاطئة التي تنم عن عدم وجود خبرة أو دراية. وكان تنظيم فتح الإسلام يعتمد التقنيات الحديثة في عمليات الرصد، ويتخصص عدد من عناصره بعمليات التزوير المتقن، اضافة الى تمكنه من تسريب أسلحة ثقيلة ومتفجرات هائلة، تمهيدا لتنفيذ المخطط الإرهابي الخاص بالقاعدة في المنطقة، وبالتنسيق مع تنظيمات أخرى تتباعد معها أو تتجاور، غير أنها في كل الأحوال تشترك في الهدف.

أن وضع مدفع ثقيل بعيار ١٠٦أو بي ١ أو بي ٩ بين بيوت الفلسطينيين يعبر عن حجم الانغلاق الفكري والأخلاقي لعناصر فتح السلام، كما إن تمكن المجموعة من تهريب مئات الألغام ضد الدروع والآليات يعبر بوضوح عن منهج فتح الإسلام، متوهمين أنهم يشكلون دولة مصغرة ومحاطة بأسوار من الأسلحة داخل الدولة اللبنانية، وإنهم لايقرون بشرعية الحكومة ولا بقدرة جيشها على المواجهة ولاحتى بحق الشعب اللبناني في الحياة السياسية.

تمكنت عناصر التنظيم التي تتنقل بين سراديب وملاجئ العمارات السكنية في المخيم، إن تقاوم وتنسحب وتتسلل، غير أنها تعتاش على ما تركه أهل فلسطين في بيوتهم ومخازنهم، وجعلهم الحصار المفروض عليهم لايفكرون سوى بالطريقة التي يخلصون بها حياتهم، دون النظر الى حياة الناس وحقوقها وممتلكاتها، ودون وازع من ضمير بما حل بالناس في المخيم. أن الضرر الذي أحدثته مجموعة جند الإسلام في حياة الفلسطينيين الآمنين في مخيم نهر البارد يفوق ما تستطيع إسرائيل إن تحدثه، فقد تمكنوا من تشريد الناس وعزلها عن بيوتها، وعطلوا مصالح الناس ومصادر عيشهم، وحاولوا وضع الشروخ في الانسجام، وأوقفوا كل إمكانيات الحياة البسيطة التي يعيشها الفلسطيني في مخيمات اللجوء. ولا يخفى أن التنظيم الذي يمد أذرعه الأخطبوطية في المدن اللبنانية التي يتواجد بها الفلسطينيون بحكم الإغراءات الدينية المتطرفة والحاجة الى المال، وضرورة إيجاد التكتل العسكري الذي يحمي ظهيرة المواطن الفلسطيني والذي يسود الحياة الفلسطينية اليوم. وتوصيف تنظيم فتح الإسلام بالتنظيم الإرهابي يفضح تلك المجموعات المتطرفة داخل الجسد الفلسطيني، والذي بدأت تحارب الوجود الفلسطيني، والإنسان الفلسطيني ليس في فلسطين فحسب، بل في كل مخيمات اللجوء ودول الاغتراب. سينتهي تنظيم فتح الإسلام كما انتهت العديد من التنظيمات الإرهابية المتطرفة، غير انه تمكن إن يترك ندوبا وجروحا كبيرة في الجسد الفلسطيني - اللبناني.